

إحياء علوم الدين

لا يفيد فيكف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم
[ويعبد] [ويعبد] لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة
فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا [] ولا يريدوا بطاعتهم غيره .
وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا [] عنه
في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك
معصية في الحال وسيكشف [] عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا .
وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر [] والقناعة بعلمه ولا يخطر
بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فإن ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تنيسر عليه
العبادات في خلوته به وإنما سكوته لمعرفة [] باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري أنه
المخفف للعمل عليه .
قال إبراهيم بن أدهم C تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت
يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت .
فما طعامك قال يا حنفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت
فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذاءك قلت نعم قال
إنهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما ثاقلت
نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنفي
جهد ساعة لعز الأبد فوفر في قلبي المعرفة فقال حسبك أو أزيدك قلت بلى قال أنزل عن
الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت
إليك فلما دخلت الدير اجتمع علي النصارى فقالوا يا حنفي ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت
من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطوني عشرين
دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين
دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون
عز من تعبده يا حنفي أقبل على ربك ودع الذهب والجيئة .
والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر
العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهايم
بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة أن
وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وإيمانه فإنه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم

عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يخيب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه إنما حصل بأن يعدوا كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتسمح نفسه بذلك فإذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمل فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق .

ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغني زيادة هزة